

التبيان في تفسير القرآن

(406) قوله تعالى: قالوا اتخذ إلهًا ولدًا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على إله ما لا تعلمون (68) آية الذين أضافوا اتخاذ الولد طائفتان: أحدهما - كفار قريش والعرب، فانهم قالوا: الملائكة بنات إله، والآخرى - النصارى الذين قالوا: المسيح ابن إله، فكذب إله الفريقين، ولا يجوز اتخاذ الولد على إله على وجه التبني، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم، لانه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبني عليها. وحقيقة الولد من ولد على فراشه أو خلق من مائه، ولذلك لا يقال: تبني الشاب شيخًا، ولا تبني الإنسان بهيمة لما كان ذلك مستحيلًا، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى، فاستحال مجازها أيضًا. واتخاذ الخليل جائرًا، لان الخلعة أصفاء المودة التي توجب الاطلاع على سره ثقة به. وان كان مشتقًا من الخلعة - بفتح الخاء - فهو لافتقاره اليه، لان الخلعة هي الحاجة. ويجوز ان يقال المسيح روح إله، لان الارواح كلها ملك إله. وانما خص المسيح بالذكر تشريفًا له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت إله، وان كانت الأرض كلها إله تعالى. وقوله "وسبحانه هو الغني" تنزيه من إله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج إلى ذلك، لانه مالك ما في السموات والأرض، وقوله "ان عندكم من سلطان بهذا" إخبار منه أنه ليس مع هؤلاء الذين يتخذون مع إله ولدًا برهان ولا حجة، لان السلطان هو البرهان الظاهر، ووبخهم على قولهم ذلك فقال "أتقولون على إله ما لا تعلمون" لان من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته ولا يأمن كونه كذبًا مقبح عند العقلاء.